المحاضرة 4

عنوان المحاضرة: عبد الرحمن الداخل وتأسيس الدولة الاموية في الاندلس.

تميزت الاوضاع في الاندلس في أواخر عصر الولاة بالفوضى وانتشار الفتن و الحروب وعم البؤس والشقاء واشتدت الانقسامات القبلية و العنصرية الجنسية، هذه الظروف شجعت الاسبان على التوسع و استرداد بعض المناطق في شمال وغرب الاندلس، وفي هذا الوقت أيضا تدهورت الدولة الأموية في المشرق وقامت مقامها الدولة العباسية سنة 132هـ 750م .

ومع قيام الدولة العباسية أخذ الولاة العباسيون يتتبعون الأمويين ويبطشون بهم في كل مكان، وكان أشدهم قسوة على الأمويين والي الشام الأمير عبد الله بن علي العباسي الذي يلقب عند بعض المؤرخين بالسفاح، ومن أهم الامثلة عن بطشه بالأمويين انه أقام وليمة ودعا اليها مئات من الأمويين ثم قتلهم جميعا عند نهر أبي فطرس بين فلسطين والأردن ثم فرش على جثثهم بساطا وأخذ يتناول طعامه فوقهم وهو يقول "ما أكلت أكلة أطيب من هذه الأكلة ".

وكان من الذين نجو من سيوف العباسيين أمير شاب من بني أمية و هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم المولود سنة 113هـ /731 م في احدى قرى قنسرين، لقب هذا المير بصقر قريش أو صقر بني أمية، وكان يكنى أبا المطرف وقيل أبا سليمان، وتمكن هذا الشاب الذي كان عمره حوالي العشرين سنة من الفرار الى فلسطين ثم مصر ولحق به غلامه بدر، أقام في مصر بعض الوقت ثم خرج قاصدا القيروان ثم نزل عند اخواله بقبيلة نفزاوة البربرية حيث كانت أمه تنتسب الى هذه القبيلة.

كان يحكم افريقية في هذا الوقت عبد الرحمن بن حبيب الفهري الذي قدم طاعته للعباسيين و بدأ يتتبع الأمويين الذين فروا الى افريقية وقتل بعضهم، لذلك حاول عبد الرحمن أن يبتعد عن هذا الوالي فاخذ ينتقل من قبيلة الى أخرى، فقيل أنه نزل في قبيلة مكناسة و في قبيلة مغيلة عند شيخ من رؤساء البربر

يدعى وانسوس و يكنى أبا قرة، وبعدها رحل الى طنجة بعد خمس سنوات من السفر و مواجهة الاخطار.

2 ـ عبد الرحمن الداخل في الأندلس.

في أواخر سنة 136 هـ/ 753 م تطلع الأمير عبد الرحمن الى استغلال القلاقل في الأندلس و عمل على استرداد ملك بني امية السليب ،وهنا أدرك هذا الأمير أهمية الفرصة المتاحة أمامه مما صار عنده من أخبار و معلومات اعتقد بأنه يستطيع الاستفادة من الصراع السياسي في الأندلس والمرور عبره الى السلطة اذا عرف كيف يقيم لنفسه هناك ركائز سياسية قوية ،خاصة وأنه كان يعرف أنه في الأندلس جالية عالية المكانة من موالي بني أمية ،منهم من حل في سنوات الفتح ومنهم من جاء بعد ذلك خاصة عندما بدأت شمس الخلافة الأموية في المشرق تميل الى الزوال ، وتمكن هؤلاء من جمع ثروات كبيرة عندما كان الأندلس يتبع حكومة دمشق و أقاموا لأنفسهم دعائم قوية في الإدارة والقضاء و في المال والتجارة وبالتالي يمكن الاعتماد عليهم في تنفيذ هذا المشروع .

و قد انتهز فرصة الخلاف الشديد بين القيسية و اليمنية فأرسل مولاه بدر لنشر الدعوة لبني أمية بين أهل الشام و كانت رياسة الأمويين لزعمين من موالي بني أمية هما أبو عثمان عبيد الله بن عثمان و صهره عبد الله بن خالد واتفق بدر معهما على بث الدعوة بين اليمنية ،وكان هذا التحالف بين اليمنية و بني أمية هدفه بالدرجة الاولى الانتقام من القيسية نظرا للهزائم التي أصابتهم على أيدي هؤلاء و خاصة أيام يوسف الفهري وصديقه الصميل بن حاتم فكان هذا التحالف لاستعادة حقوق فقدوها ، و بعد أن أيقن من كثرة أنصار بني أمية أرسل الى عبد الرحمن يطلب منه القدوم .

عبر عبد الرحمن مضيق جبل طارق ونزل عند مرفأ أندلسي صغير هو المنكب حيث كان في استقباله زعيم موالي بني أمية أبو عثمان بن عبيد الله ومنه إنتقل الى قرية طرش حيث نزل في دار أبي الحجاج يوسف بن بخت، وكان ذلك في سنة 138 هـ /755 م، وقد اتخذ من هذه القرية مقرا له يستقبل فيه الوفود المؤيدين، فتجمع حوله الجنود والفرسان من أجناد الأردن وفلسطين وحمص وأقبل الناس اليه من كل مكان.

و في هذا الوقت كان والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن بعيدا عن قرطبة معسكرا بالقرب من سرقسطة للقضاء على ثورة اندلعت في سرقسطة، و لما وصلته الأخبار بوصول عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس عاد مسرعا الى قرطبة مع نائبه الصميل بن حاتم، وقد حاول يوسف بن عبد الرحمن الفهري معالجة الأزمة سلميا حيث عرض على عبد الرحمن المال و المصاهرة ومنحه ولاية من الولايات مقابل التخلي عن دعوته، ولكن عبد الرحمن بن معاوية رفض كل العروض وأصر على الاستحواذ على ملك الأندلس .

وبعد فشل محاولة يوسف الفهري في الصلح انتقل عبد الرحمن الأموي من طرش مع أنصاره الى رية فبايعه أهلها ثم سار الى شذونه فدخلت في طاعته ثم اشبيلية فبايعه زعيمها و أهلها، وانضم اليه أثناء هذه الحركة كثير من الجند و الأنصار من المضرية و اليمنية وأهل الشام، ثم واصل زحفه حتى اقترب من قرطبة في أواخر ذي الحجة سنة 138 هـ /756 م .

معركة المصارة :بعد أن عمل كل طرف على حشد قواته حيث تجمعت القيسية بحماس لتايد يوسف الفهري وصديقه الصميل وخرجوا الى البيرة رغم تفرق جنودهما من حولهم بعد أن سمعوا بقدوم عبد الرحمن الى الأندلس ،وقد عسكر يوسف الفهري على محاذات الضفة الغربية لنهر الوادي الكبير ،و سار عبد الرحمن في الضفة الشرقية لملاقاة خصومه ،ونظرا لخوف عبد الرحمن من نفاذ مؤونته فقد استعجل اللقاء مع أعدائه و اتبع حيلة مكنته من عبور النهر دون مقاومة ،فقد تظاهر بقبول المصالحة وتفادي القتال فلقي هذا العرض ترحيبا كبيرا من الفهري الذي تركه و جنوده يعبرون النهر وأمدهم بالأطعمة ،الا أن عبد الرحمن فاجأ خصومه بمباشرة القتال في أول أيام عيد الاضحى ، وقد جعل قيادة جيشه لكبير موالي بني أمية أبي عثمان بن عبيد الله ،

لقد تمكن عبد الرحمن الداخل من تحقيق نصرا كبيرا على أعدائه في هذه الموقعة وقتل الكثير من جنود القيسية و الفهرية وفر الفهري الى نواحي طليطلة بينما فر الصميل الى جهات جيان ، وقد فتح هذا النصر أبواب العاصمة الأندلسية قرطبة أمامه حيث دخلها في أول أيام العيد وصلى في جامعها وخطب في الناس معلنا عن قيام دولته الجديدة و ندي به أميرا على بلاد الأندلس .

وكان لهذه المعركة نتائج بعيدة المدى في تطور الحياة السياسية للأندلس، فقد أنهى هذا الانتصار عصر الولاة وما تخلله من اضطرابات كما استطاع هذا الأمير الشريد الطريد الذي لقب بالداخل أن يحي من جديد دولة الأمويين التي انهارت في المشرق وأن يجعل من الأندلس دولة مستقلة عن المغرب والمشرق، وبهذا الانتصار ايضا يبدأ عهد جديد في تاريخ الأندلس سمي بعصر الإمارة.

سي عبد القادر